

الواجهة العسكرية للحضارة العربية الإسلامية

فتح إفريقية : جذوة السياسة وأبعاده الاستراتيجية

د. عمر العري

كلية الاداب والعلوم الانسانية - الجامعة التونسية

ان فتح العرب المسلمين لافريقية خاصة والمغرب عامة كان دائما موضوع جدال واسع بين المؤرخين يتناول على الخصوص طول مدة الفتح (أكثر من نصف قرن) وصعوبة عمليات هذا الفتح وعدم استقرار السيطرة العربية الإسلامية ، الى غير ذلك من النقاط الحيوية الدقيقة التي مازالت تحتاج الى دراسة متأنية تحاول استغلال المصادر القليلة التي لدينا لوضع قضية فتح افريقية في اطار اشمل ، وهو الاطار الدولي آنذاك .

وهذا الجدل طفت عليه اعتبارات معاصرة صاحبت فترة الاستعمار ، نكتفي بالإشارة الى أهم مميزاتهما ، وهي الحرص على التمييز في بلدان المغرب بين العرب والبربر ، لاثارة العنصرين وحشهما على التناحر والوقوف وجها لوجه .

وبما أن الانتماء العربي الإسلامي كان يعتبر الاخطر على استمرار ، فقد وقع التأكيد على البطولات البربرية ، واطلق على الكاهنة اسم (جان دارك المغرب) ، واعتبر كسيلبي بطلا قوميا بربريا ، وراح بعضهم الى حد تمجيد البربر للدور الذي قاموا به ، بفضل مقاومتهم ، في حماية الغرب من الزحف الإسلامي (المتعصب) و (المتوحش) .

وقد أثرت هذه الآراء (١) تأثيرا كبيرا في دراسات تاريخ المغرب العربي الإسلامي ولم تتخلص منها الأذهان حتى بين العرب والمسلمين . وربما مما رسخ هذا الاتجاه العون غير المقصود الذي أسداه له بعض المؤرخين العرب المسلمين ، الذين اتخذوا موقفا متطرفا نقيضا لما أصبح يعرف بموقف مدرسة الجزائر التاريخية (زمن الاستعمار) ولكنه مثبت له في آن واحد ، وذلك انه هو الآخر يلخص القضية في الصراع

اعد هذا البحث للمؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، المنعقد بدمشق ١٦ - ٢٢

جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ / ٢٠ - ٢٦ نيسان ١٩٨١ م .

بين العرب والبربر ، ويترك انطبعا عنصريا عن هذه الفترة من تاريخ افريقية والمغرب .

وتاريخ هذه الفترة يجب أن يدرس في نطاق مشروع حضاري ينظر فيه الى الماضي حسب متطلبات الحاضر وتطلعات المستقبل ، اذ ليس هناك تاريخ موضوعي بالمعنى الالهي ، وليس هناك تاريخ محايد ، والسؤال السليم يبقى دائما : لماذا التاريخ؟ ولاي هدف ؟

ان نقاط الجدل التي اشرنا اليها آنفا تستدعي نقاشا طويلا ليس هنا مجاله بل نكتفي بالاشارة الى أن مدة الفتح الطويلة وصعوبته النسبية تعزى الى عدة عوامل تهم الطرفين ، وابرزها ان فترة فتوحات افريقية صادفت ازمان متكررة في مركز القيادة العربية الاسلامية من جهة ، وجابهت مجتمعا يمتاز بتشتيت مراكز النفوذ ووجوب القضاء عليها واحدا واحدا . لم تكن افريقية والمغرب على ما كانت عليه الامبراطوريتان الساسانية والبيزنطية حيث كان انهزام الجيوش الامبراطورية يعني نهاية العمليات العسكرية . وهذه النقطة هامة جدا ، وبدأت تتضح بفضل دراسات جديدة طريفة عن حالة افريقية والمغرب في أواخر العهد البيزنطي ، بما في ذلك البنية الاجتماعية للقبائل البربرية وعلاقات رؤسائها مع السلطة البيزنطية ، وانواع التعاون والاستقلالية في هذه العلاقات . وتشبت هذه الدراسات توزع مراكز النفوذ وتجزؤها مما يجعل من الصعب أن تتم أي سيطرة خارجية بسهولة .

أولا : مصادر تاريخ فتح افريقية :

الى جانب هذه الدراسات التي نحاول في تونس والمغرب عامة ان نطورها للقضاء على مظهر الثغرات في مسيرة تاريخنا نلاحظ ان المصادر عن فتح افريقية كلها من عصور متأخرة عن فترة الفتح وكثير منها تختلط فيها الاحداث التاريخية بالاساطير فلذلك اذا استطعنا رسم مراحل الفتح الرئيسية طيلة اكثر من نصف قرن فالجزئيات تبقى غامضة مرتبكة لان المعطيات التي وصلتنا غير دقيقة والفتح من خلال مصادرنا المتأخرة يشبه سيرة بطولية اكثر منه حروبا متواصلة فيها الانتصارات والهزائم والتقدم والركود الى غير ذلك .

ذلك لان النصوص رغم انها عديدة كلها متأخرة ، وكل نص ينقض الاخر فيزداد الغموض ويتكثف من نص الى النص الذي يتبعه ويزج الغلط والاعاجيب وتطول الروايات فتضيع الاحداث المضبوطة في خضم من الجزئيات الحشوية .

وترجع هذه النصوص الى ثلاثة انواع من المصادر :

— مصدر يمكن تسميته بالشرقي وهو قديم نسبيا ويمثله ابو القاسم عبدالرحمان ابن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة (٨٧١/٢٥٧) وهو محدث اكثر منه مؤرخا .

— مصدر افريقي (٢) نسبة الى افريقية ربما تأثر بالمصدر الشرقي واصله محمد ابن يوسف الوراق (٣) المتوفى سنة (٩٧٣/٣٦٣) بقرطبة حيث سافر من القيروان .

— مصدر اندلسي — مغربي يظهر انه استعمل من طرف المتأخرين من المشاركة امثال ابن الاثير والنويري .

وخير ممثل لهذا المصدر هو على اغلب الظن ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب الذي استعمله ابن الخطيب وابن خلدون دون ذكره . واصل هذا المصدر هو احمد الرازي (٤) .

وميزة ابن عذاري انه يذكر مصادره ومنها البكري وابن ابي الفياض الاندلسي وابن القطان وابن عبد البر وابن حماد والبرنسي . . والى جانب هؤلاء الكتاب المؤرخين نجد ان لابن عذاري مصادر غير مكتوبة تتمثل في استقصائه لمعلومات شفهية اهمها بالنسبة للفتح ترجع الى ابي علي صالح بن ابي صالح عبد الحليم الذي كان يقطن بلدة نفيس بالاطلس الاكبر في اوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) (٥) ولهذا المصدر الشفوي الممثل لذاكرة اهل الجهة اهمية بالغة بالنسبة لعمليات عقبة بالمغرب الاقصى .

ثانيا - مراحل فتح افريقية :

فاذا قارنا هذه النصوص وتمعنا فيها وفي اختلافاتها استطعنا الى حد ما رسم ملامح الفتح العربي الاسلامي لافريقية والمغرب .

ولكن سوف لا نتناول جزئيات الاحداث خاصة وان هذا الجانب الاكاديمي معروف لدى الجميع اذ تناوله كثير من الدارسين نذكر منهم سعد زغلول عبد الحميد وشاؤول اندري جوليان — وايفرست ليفي بفرنسال وغيرهم . فالذي يهمنا بالدرجة الاولى هو سياسة الفتح التي ستسلك في خلافة عثمان (٢٣-٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م) وفيما بعدها .

امتازت فترة خلافة عثمان بالقضاء بصورة تكاد تكون نهائية على التمييز بين مسلمي ما قبل الردة ومسلمي الردة . وامتازت كذلك بتقلص نفوذ تأثير النخبة المدنية التي برزت على يد عمر بالاستناد الى الاسبقية في الاسلام ، فنتج عن هذا ظهور نفوذ

الارستقراطية القبلية التقليدية الى جانب ظاهرة اخرى مهمة في خلافة عثمان تتمثل في تضخم هجرات القبائل الى امصار البلاد المفتوحة التي نشأت على اثرها توترات بين قدامى عرب الامصار واللاحقين منهم . فهذه المعطيات الجديدة التي تنطبق على مصر كانت اساسا لسياسة الفتوحات في خلافة عثمان الذي كانت تدفعه دينامية انتشار العرب في البلاد المفتوحة وتلاحقهم اليها . فهكذا كان فتح افريقية جزءا من الاستراتيجية الجديدة الثلاثية : الانطلاق من البصرة لاكتساح ما تبقى من الامبراطورية الساسانية ، والانطلاق من الكوفة للتمكن من الاقاليم الشمالية الشرقية حول بحر الكاسبيان والانطلاق من مصر نحو الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط .

وتهمنا الجبهة الغربية - المصرية على الخصوص فالانتقال من مصر نحو الغرب ليس في الحقيقة الا استمرارا لمبادرة تجاوز حدود فلسطين الى مصر ، قصد تحقيق امن بلاد الشام بحريا خاصة .

كانت عملية فتح مصر تكاد تكون - (الى جانب ضغط رؤساء القبائل الراغبين في الحصول على نصيب من عائدات الفتوحات) - عملية اضطرارية لحماية بلاد الشام . وهنا يجدر بنا ان ننبه الى تجربة معاوية كوال للشام حيث لا شك وانه فكر - وكذلك الشاميون الذين اصبحوا معنيين بالتوسع العربي الاسلامي - في حماية الشام من الخطر البيزنطي المتمثل في جبهتين : الجبهة البرية التي كان يمكن التصدي اليها بذلك التنظيم المحكم الذي ارساه معاوية الذي حرص على تنظيم هجرة القبائل وعلى اقرار قدر ادنى من انسجامها . اما الجبهة البحرية وقواعدها المعادية فهي تتمثل في مصر وخاصة الاسكندرية من جهة وفي جزر الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط وخاصة منها قبرص التي كانت عبارة عن مدفع تقابل فوهته بلاد الشام .

هذه الاعتبارات عمقت في رايانا لتصبح رؤية استراتيجية واسعة وتطورت لتفضي الى سياسة بحرية من جهة والى اعتبار مصر منطلق جبهة جديدة ستكون هامة جدا في مجابهة بيزنطة ومحاولة اضعافها ، في فترة اصبح من الواضح لدى العرب المسلمين بان بيزنطة هي العدو الرئيسي واصبح من الواضح كذلك ان الصراع معها لايمكن ان يكون حدوديا بل يجب ان يصبح استراتيجية جغرافية سياسية . وهذا ينم على وعي كبير من طرف القادة العرب المسلمين ، لا سيما وان الجبهة الشرقية البرية للصراع مع بيزنطة كانت جبهة صعبة جدا اذ تمتاز فيها بيزنطة بالتمتع بحاجز دفاعي طبيعي في جبال الطوروس ومضائقها الخطرة .

فاختيار الجبهة المصرية الغربية - خاصة وان مصر فتحت بسرعة مذهلة في مدة ثلاث سنوات ، اختيار مصيب ومنطقي وحيوي في آن واحد (٦) ، اذا تذكرنا ان البيزنطيين نجحوا في استرداد الاسكندرية بعد سنوات قليلة من استيلاء العرب

المسلمين عليها ، واضطر هؤلاء الى عملية جديدة اقتضتهم باسترسال المجابهة ، خاصة من الزاوية البحرية .

ومن هذا المنطلق نفهم كيف استفل العرب المسلمون قدراتهم الذاتية لتذليل صعوبات الصحراء الغربية والتمركز بمنطقة برقة في وقت مبكر منذ اواخر عهد عمر واتخاذها قاعدة للقيام بغارات استطلاعية غربا نحو طرابلس (التي احتلت سنة ٦٤٣/٢٤) ونحو ما يسميه المؤرخون القدامى باطراف افريقية وللقيام باستطلاعات اخرى نحو الجنوب الى صحراء ليبيا وواحاتها والى الفزان كذلك فكانت برقة قواس خط هجومي سوف يكتمل بالاستيلاء على جزيرتي رودس واقريطش . فخلافة عثمان دعمت بوادر هذه السياسة ووسعت آفاقها ومكنتها من الوسائل الكفيلة بانجاحها .

١ . عبد الله بن سعد بن ابي سرح : ومن الجدير بالتنويه ان المصادر تكاد تجمع على ان عثمان اخذ رأي الصحابة قبل ان ينظم اول حملة ضد افريقية مما يعني انه كان يعتبر نفسه مقدما على اختيار سياسي هام جدا . وكان عثمان قد عزل عمرو ابن العاص عن مصر سنة ٦٤٦/٢٥ وعوضه باخيه للرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي كان اليه الصعيد منذ عهد عمرو فكان هذا الاجراء مشيرا بالهجوم على افريقية كجزء من محاولة تجاوز الجنب البحري الايمن لبيزنطة .

وعبد الله هذا من بني عامر بن لؤي فهو قرشي عامري وامه اشعرية ارضعت عثمانا والمعروف عنه انه اسلم قبل فتح مكة وهاجر الى المدينة . لكنه كما تقول المصادر (افتنن وارند) فكاد يقتل بعد فتح مكة ولعل ما حماه من القتل مكانة عشيرته . وشارك عبد الله في فتح الشام وصاحب عمرو بن العاص الى مصر قائدا على ميمنته وكان عمرو يرسله الى اطراف افريقية غازيا (٧) .

فلم يكن اذن غريبا عن ابعاد المهمة الجديدة الموكلة اليه والتي سيصحبها فيها عدد هام من الصحابة فعرفت غزوته هذه بغزوة العبادلة السبعة (٨) .

وكانت القوات المشاركة فيها تتألف من عشرين الف مقاتل وانطلقت سنة ٢٦ للهجرة ، فلما وصلت الى برقة تلقاها عقبة بن نافع الذي كان حاميه هناك وتضافرت القوات للهجوم على طرابلس ثم دخلت افريقية وكان انتصار سبيطة على جرجير الذي ارسل عبد الله على اثره قوات الى قصبة والجم . ودامت الغزوة حسب ما تقول المصادر سنة وربع السنة . وبعد هذه الغزوة (٩) شارك عبد الله بن سعد سنة ٦٤٩/٢٨ في عملية منسقة بين الشام ومصر ضد قبرص لجعلها الطرف المقابل والمكمل للاسكندرية كخطوة لمخطط ارساء خط بحري ضد البيزنطيين . وفي سنة ٢١ للهجرة ، فلما وصلت الى برقة تلقاها عقبة بن نافع الذي كان حاميه هناك وتضافرت نافع الذي ارسله عمرو بن العاص هناك .

فبعد الله بن سعد اذن قائد كامل الكفاءات ملم بالمستلزمات الاستراتيجية ويحق ان يعتبر عدل معاوية في ارساء السياسة الاسلامية البحرية الجديدة فنحن نجده بذات الصواري سنة ٦٥٥/٣٤ وتقول بعض المصادر ان عبد الله بن سعد كر ثانية على افريقية سنة ٦٥٤/٣٣ .

ب - معاوية بن حديج : ومن اهم قادة الفتح الاسلامي لافريقية بعد عبد الله ابن سعد شخصية لا تقل أهمية عن هذا الاخير نعني بهذه الشخصية معاوية بن حديج السكوني الكندي ومعاوية هذا شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وهو الذي حمل الى عمر بن الخطاب نبأ الاستيلاء على الاسكندرية - وشارك معاوية كذلك في عمليات النوبة تحت لواء عبد الله بن سعد بن ابي سرح حيث ذهبت عينه في احدى الوقائع وشارك كذلك في العمليات العسكرية ضد افريقية .

فهذا الرجل الذي يمتاز بتجربة فائقة على الجبهة الغربية هو الذي وقع عليه اختيار معاوية بن ابي سفيان لقيادة الغزوة المهمة الثانية ضد افريقية سنة ٦٦٥/٧٤ فغزاها على رأس جيش يعد عشرة آلاف مقاتل ويضم جماعة من الصحابة والتابعين من بينهم عبد الملك بن مروان . فانتصر على البيزنطيين (١٠) ، واستولى على قلعة جلواء التي كانت على ما يظهر من قلاع الخط البيزنطي الدفاعي الثاني واستولى على الجبل وبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فاستولى عليها وبعث بحرا روفع بن ثابت الانصاري الى جربة فاحتلها . واستقر هو بجبل القرن قرب الموقع المقبل للقيروان وجعل منه مركز القيادة مدة ثلاث سنوات ، (١١) وقام فيه ببعض التجهيزات .

ومما يلاحظ ان معاوية بن حديج هذا اول من قام بعمليات بحرية ضد صقلية وذلك سنة ٦٥٦/٣٦ رأس عليها عبد الله بن فنيس ، ومعاوية بن حديج هو كذلك الذي اغزى عقبة بن نافع بحرا باهل مصر ضد الروم (١٢) .

ولا ننسى اخيرا ان معاوية بن حديج كان رئيس الشق الاموي بمصر زمن الفتنة فولاه معاوية مصر سنة ٦٦٥/٤٧ خلفا لعبد الله بن عمرو بن العاص .

ج - عقبة بن نافع : ثالث شخصيات الفتح العربي الاسلامي لافريقية - وهو اشهرهم - هو عقبة بن نافع الفهري القرشي . ولدنا روايتان في شان والده نافع فالاولى تقول بانه مات مشركا وذلك قبل فتح مكة (١٣)، والثانية مفادها انه اسلم وكان مع عمرو بن العاص في فتح مصر وبعثه عمرو الى غزو برقة .

وهناك روايات مختلفة حول علاقات عقبة النسبية بعمرو بن العاص ، فابن حزم

يجعل منه اخا لعمر و لاه (١٤) ، ورواية اخرى تجعل منه ابن خالة لعمر و (١٥) ورواية
ثالثة تجعل من عمرو خالا لعقبة (١٦) ورواية رابعة تجعل من عقبة ابن اخ للعاص
ابن وائل السهمي (١٧) فعبقة حسب كل هذه الروايات من اقارب عمرو . وقد شهد
فتح مصر معه سنة ١٩ و ٢٠ للهجرة ، وقاد جيشا استولى على زويلة بالصحراء
الغربية سنة ٢٠ و ٢٢ للهجرة . وهو ينتمي الى عشيرة فهر التي اشتهرت
بكفاءاتها العسكرية .

وفي سنة ٢٢ للهجرة بعثه عمرو غازيا الى النوبة ثم اقره بعد ذلك حامية لبرقة
وقد اشرنا الى مشاركته من مركزه ببرقة في غزوة عبد الله بن سعد بن ابي سرح
لافريقية .

وفي سنة ٤١ للهجرة قام عقبة بامر من عمرو بن العاص بغزوات هامة جدا في
صحراء ليبيا وواحاتها فاضع قبائل لوائه وهورة البربرية واستولى على غدامس
سنة ٤٢ للهجرة ، وافتتح كورا من السودان سنة ٤٣ للهجرة وافتتح ودان
سنة ٤٦ للهجرة ثم جرمة ثم الفزان مكسبا التمهيد لفتح افريقية عمقا استراتيجيا
في غاية الاهمية ستظهر فعالياته عند حملة عقبة في منتصف القرن الاول .

ولا ننسى ان نشير اخيرا الى ان المصادر تشير الى ان عقبة غزا الروم بحريا
مرتين على الاقل وذلك في سنتي ٣٩ و ٤٩ للهجرة .

ثالثا - اهمية الجبهة الغربية في الفتوحات الاسلامية

لم نستعرض فترات فتح العرب المسلمين لافريقية لذاتها ولم نذكر قادة هذا
الفتح لذاتهم ولكن حاولنا ان نبرز من خلال هذا الاستعراض السريع - بعد رسم
الملامح العامة للفتح كحدث ضخم - ان عمليات الفتح لم تكن عرضية وانما كانت جزءا من
استراتيجية محكمة نستطيع تلمسها منذ اخر عهد عمر حيث قطعت خطوة فتح مصر ثم
برزت واضحة في عهد عثمان (١٨) ثم تعمقت وتاكدت في عهد معاوية وكسبت الارادة
السياسية المدعمة لها .

فاذا انتبهنا الى هذا المخطط الاستراتيجي اصبحت التعثرات واختيار الظروف
الملائمة وابدال القواد بالعزل والتعويض باشياء ثانوية . ويتضح لنا هذا المخطط اذا
اعتبرنا المدى المتوسط فحسب والذي يتمثل في بعض التواريخ التي ترسم لنا عناصر
المخطط فلنتذكر ان الاسكندرية استعادها البيزنطيون سنة ٦٤٥ واستردها ثانية

وبسرعة العرب المسلمون ثم استولوا على قبرص فامنوا خطا بحريا اوليا يحمي بلاد الشام اكثر من كونه خط هجوم الى الغرب . وفي مرحلة لاحقة وقع ارساء خط ثان يتكون من جزيرة رودس (سنة ٥٢ / ٦٧٢) التي احتلت في اعقاب تأسيس القيروان وجزيرة اقريطش ٥٤ / ٦٧٤ فصارت هاتان الجزيرتان مكملتان لموقع برقة . واخيرا نذكر المحاولات المبكرة ضد صقلية لاثبات خط ثالث (صقلية - افريقية) .

فهذه هي الملامح الاساسية للسياسة الجديدة ذات البعد البحري والتي كان مؤسسها الحقيقي معاوية بن ابي سفيان وشاركه في بلورتها عبد الله بن سعد بن ابي سرح . وقد بدأت هذه السياسة تعطي ثمارها منذ ذات السواري سنة ٦٤٩ التي تبعتها غارات ضد صقلية (١٩) حيث كان للبيزنطيين مركز ثقل هام جدا (٢٠) .

ونلاحظ من ناحية اخرى ان قادة ومحركي فتح افريقية كلهم من ارستقراطية مكية قرشية ومن مجموعة عمرو بن العاص وهم يمتازون بتجربة ثلاثية : تجربة مصرية وتجربة صحراوية (النوبة وواحات الصحراء الغربية والليبية) وتجربة بحرية .

وتألفت نظرا التجربة التي اسمينها بالصحراوية والتي لم يتسع المجال لتناولها بشيء من التوسع . هذا البعد لعمليات الفتح على الجبهة الغربية يتطلب دراسة خاصة على ضوء البحوث الجديدة في تاريخ افريقيا السوداء وعلاقات مصر وافريقية بها . وهذه البحوث تنبهنا من جديد ان المغرب العربي ليس مجرد طفوف على شواطئ البحر الابيض المتوسط بل له ابعاد اخرى عميقة الى الجنوب ، والى ذلك البحر الاخر اى الصحراء الكبرى .

اهمل المؤرخون البعد الصحراوي للفتوحات على الجبهة الغربية وعزوا ذلك الى الطبيعة العربية البدوية والى ركون العرب الى مناخات معهودة بالنسبة اليهم الى غير ذلك من المتاهات ناسين او متناسين ان الشخصيات الماطرة للعرب كانت لها تجارب وكفاءات ذات ابعاد متعددة وتفوق بكثير آفاق العربي البدوي العادي البسيط .

هذه الابعاد الصحراوية كانت لها مبررات استراتيجية عسكرية طبعها ولكن اهم دوافعها دوافع اقتصادية اذ نلاحظ ان العرب المسلمين الفاتحين كانت لهم عناية خاصة بالصحراء وواحاتها في الجبهة الغربية .

ولم تكن تهمهم الواحات وحدها او لذاتها وانما دور تلك الواحة كعمق استراتيجي يطوق البلاد التي يخطط لفتحها وكذلك دورها في المسالك التجارية مع افريقيا جنوب الصحراء وسيوضح هذا البعد الخطير فيما بعد عندما نلاحظ ان

السيطرة العربية الاسلامية على الساحة يختلف عن التصورات السابقة ، تصورات الرومان والبيزنطيين مثلا .

هكذا تتضح لنا اهمية الجبهة الغربية التي تكون افريقية حلقة مهمة فيها . فلا غرابة اذن ان تكون من بين اولى مبادرات عبد الملك بن مروان ، بعد فراغه من امر عيد الله بن الزبير ، ان بعث بحسان بن النعمان الى افريقية على رأس جيش ضخم ، بالمقارنة الى ما سبقه من القوات ، راسما له مهمة اساسية وهي تأسيس قاعدة بحرية بتونس . ولا غرابة كذلك ان تتجدد الحملات ضد القسطنطينية بعد تركيز هذه السياسية حوالي سنة ٦٧٣ بعد الميلاد .

هكذا يتضح ان فتح افريقية من طرف العرب المسلمين يندرج ضمن مخطط ضخم هدفه الاستراتيجي .

— حماية الشام ثم مصر .

— تجاوز الجنب البحري الايمن لبيزنطة .

— السيطرة على الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط لحصر المجابهة من الاطراف الشمالية للحوض الشرقي منه وحول اسيا الصغرى والقسطنطينية بالذات .

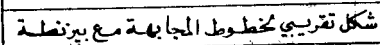
فامام هذه الاعتبارات تظهر جليا سخافة الاساطير المتعلقة بخوف العرب من البحر ومن المسافات البعيدة والمتعلقة بتفضيلهم الطرق الصحراوية لانهم كبدوا معتادون مثل هذه الطرق الى غير ذلك من المتاهات .

فما تصرف العرب المسلمين الفاتحين الا التزاما بتخطيطات دقيقة تقتصد الزمن والوسائل وتستغل القدرات الخاصة .

واذا لم نسلم بهذه الرؤية فليس لنا اختيار ثان الا ان نبقي اسرى تلك النظرة القائلة بأن العرب المسلمين اندفعوا تعصبا ورغبة في الفتيمة فقط .

كان الحافز الديني والحماس المتأتي عنه عنصرين هامين جدا في الهبة العربية الاسلامية وكانت الفنائم عنصرا مرغبا كذلك ولكن فوق كل هذه الدوافع كانت الرؤية الاستراتيجية والعزيمة السياسية اهم العوامل لا للفتح فحسب بل وكذلك في نجاحه .

- (١) انظر فرنسيس رود ، الكاهنة ملكة البربر .
- (٢) انظر عنه (مجلة معهد الدراسات الشرقية) (A.I.E.D) ، عدد VI (١٩٤٥-٤٧) ص ١٠٨-١٥٥ .
- (٣) انظر عنه Melanges GAUDEFRY — DEMOMBYNES القاهرة 1935 — 1945 ، ص 52. — 151
- (٤) انظر عنه : تاريخ اسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال (Levy — Provençal)
- (٥) انظر عنه ليفي بروفنسال Levy Provençal في مجلة اريبكا (Arabica) ، المجلد الاول (سنة 1954)
- (٦) انظر دراسة هشام جميعط عن ولاية الفريقية وتاكيده على اهمية علاقتها مع مصر مدة طويلة : مجلة (ستوديا اسلاميكا) (Studia Islamica) مجلة عدد 27 .
- (٧) انظر ابن الاثير والطبري والمالكي صاحب رياض النفوس ، الجزء الاول ، ص : 44
- (٨) عبد الله بن عباس عبد الله بن عمر ، عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن جعفر ... وانظر فتح البلدان للبلاذري ، 226 ، والطبري ، ١ ، ص : 2814 و 18 — 2817 وفتح مصر لابن عبد الحكم ، 183 .
- (٩) انظر ابن عبد الحكم والبلاذري وابن الاثير وابن خلدون .
- (١٠) يقال بان معاوية بن ابي سفيان نظم هذه الحملة على اثر نصيحة قائد بيزنطي اسمه (جناديوس) (Gennadius) وهذا يدل على شيئين اثنين اهتمام معاوية بالموضوع وامكانية وجود نشاط مغابرات اسلامية في الاقاليم البيزنطية بما فيها البعيدة منها .
- (١١) انظر رياض النفوس ومعالم الايمان لابن ناجي والخلاصة النقية للبايبي السعودي .
- (١٢) البيان المغرب ، دار الثقافة بيروت الجزء الاول ص : 19
- (١٣) انظر الاصابة لابن حجر العسقلاني .
- (١٤) الجمهورية ص : 163
- (١٥) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد واسد الغابة لابن الاثير والاستيعاب لابن عبد البر .
- (١٦) الاصابة لابن حجر
- (١٧) سير اعلام النبلاء للنهبي .
- (١٨) منذ سنة 651 صارت العمليات البحرية اساسية في سياسة التوسع العربي الاسلامي .



(١٩) اليك شكل تقريبي لخطوط المجابهة البحرية ضد بيزنطة

(وانظر خارطة للحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط وجزره وشواطئه) .

(٢٠) بعد اغتيال الإمبراطور قسطنطين ، واجه خليفته قسطنطين بوجونا (Constantin Pogonat) إمبراطورا منازعا بصقلية .